

الجزء الثاني من سلسلة المدينة المنسية

المنارة



نور هشام عليان

الجزء الثاني من سلسلة المدينة المنسية

المنارة

نور هشام عليان

2024



النسيم يمرّ مداعبا قسما ت وجهها ، الأمواج من أمامها تزجر بغضب ، والزوار لهذا الشاطئ هم
قلة القلة ، وكأنه وبالرغم من جماله هناك ما ينفّر منه ، يذكرني هذا بمن هم جميلوا المظهر سيئو الخلق
، تجلس برتابة تحمل في يديها ورقة يراقصها الهواء فتثبثها بقلم ينفضُ حبرا ، وبدأت بتوثيق ما
تشعر به :

أنا لست بخير . . .

هذا كل ما أعرفه عني الآن ، بلا سبب معين ، بلا موقف حدث ، ودون أدنى كدر ، تضعضت
الحال ولم أعد بخير أبدا .

أقف في نقطة صفرية ، لا أريد التقدم من شيء ولا الابتعاد عن شيء ، أرقب كل الأهداف
والأمنيات والعابرين بي يمر كل ذلك دون أن أقدم على أي ردة فعل لها . ملاحمي باهتة وراكدة



نتيه بالأفق الواسع، ونظرتي جامدة هادئة تكتنز ضياعا عظيما، وقلبي يرتج ويغص ويغرق في بحر هائج وهو لا يعرف كيف سبح!

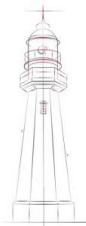
وعقلي في بيداء قارصة، تضربه رياحها فتعكر عليه كل شيء وتملؤه بالكثير من اللاشيء، أنا هادئة والداخل شديد الصخب، لا ابتسامه ولا حب ولا كره ولا غضب، وكأنني احتجرت المشاعر وكل ما يمسيها في صناديق ورتبتها حتى تبعد.

الساحة فارغة، النبع جاف تماما، ودوي صوت الحرب لا زال مفعلا في رأسي. كيف لنا أن نحب الحياة عندما تصبح جامدة كلوح ثلجي؟ باردة، صلبة ولو نظحتها برأسك لفتحتة ولو لمستها بيدك لانسابت لذاعة الزمهير إلى أعماقك.

أنا . . .

متجمدة . . . رغم أنني أقف وتضربني أشعة الشمس،

ومع أن غناء أمواج البحر من أمامي عالٍ إلا أنه لا ينجح هذه المرة في تهدئي، ارتفع معدل المدّ بات يصل لحيث أنا جالسة مستندة عليّ متكئة على ما تبقى مني، أكتب ما في . . .



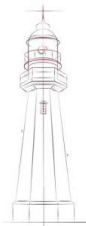
لطالما أحببت الكتابة أمام البحر، أشعر بأنني أكون أكثر صراحة حينما أفعل ذلك، وأنه يستثير صدقي
وصراحتي فأقول جوانبا أسعى إخفاءها حتى عن نفسي... يفيض كل شيء... أنا أكتب كل هذا الضياع
حتى...

أرى بويقا غريبا يومض على مقربة مني، يجذبني فأسير نحوه بلا وعي، يتعد خطوة فأقدم منه اثنتين، بدأت
الشمس تغيب فتلقي بنفسها في أحضان الأفق، الظلمة قريبة مني، لكن كيف لي أن أخافها؟
أستكون أشد حلكة من داخلي؟

... قلت ببديهة: لن تكون

. واستمرت بالمضي، ماذا تراه يكون؟ ضوء ذهبي لامع يمتطي الأمواج ويتمايل معها في منظر مبهر.
بدأ الماء يعلوني، لقد بلغت نصف طولي، لكنني لا أزال مخطوفة الإدراك مستمرة... نحوه

وصلت، تبقى القليل فقط وتبقى القليل حتى أغرق أيضا، وحينما شعرت بأنني أمسكته، سحبني شيء ما
لأسفل، صرخت وقاومت والتهمت الكثير من الماء المالح لكن، لكن ذلك دون جدوى هو أقوى من أن أجابه



حرارة الماء ترتفع، تركيزي يقل شيئاً فشيئاً، وما هي الإثوان وأهوي فاقدة لوعيي
أسمعها جيداً تناديني: كنانة . . . كنانة أجيبيني ألا تسمعين؟ لا وقت انهضي يا كنانة .

فأبدأ بفتح مقلتي تدريجياً، وأتمم:

يبدو أن الليل قد حلّ، ترى ماذا حدث لي؟ ومن الذي كان يناديني؟

لا زال البحر يهدر بغضب، نهضت اتكى على يدي، وكان الصوت لا يزال ينادي، هل من المعقل أنني فقدت
عقلي؟ تلفتت حولي فما عرفت أين أنا؟ ومر ببالي أنني من الممكن أن أكون غرقت فحملتني الأمواج بعيداً، قلت
بسخرية ضاربة رأسي بيدي:

رائع يا كنانة، لو نمت بعد كان من الممكن أن تكملني إشباع فضولك في الدار الآخرة . . . كيف ستخرجين من هذا
الآن؟

قلتها وقد بدأت أمضي، إلى أين؟ إلى حيث تقودني قدماي فأنا لا أدرك أين أنا . . .



عاد الصوت ليناديني مرة أخرى، أخذت أتلفت وأدور حول نفسي كي أكتشف كل الجهات، لكنني لم أر أحداً سوى . . . أهذه منارة؟

متى تم بناء منارة على هذا الشاطئ، يبدو أن الوجهة قد تحددت، إلى المنارة يا فتاة، لنلبّ النداء .

على عتبات أول درجة فكرت في التراجع فالمكان غامض وشديد الظلمة، وكأن هذا المكان تجسيد لكل ما هو قائم، الخطوة الثانية، بدأت أرتجف، وحرارة جسدي بدأت بالعلو، استدرت وأردت الابتعاد، وما إن دست أول خطوة حتى جاء الصوت المنادي: كنانة . . . كنانة . . . اصعدي .

خطفت ألوان وجهي، وتصلبت قدمي، التفت للخلف أرمق باب المنارة المفتوح وأنا أنتفض ذعرا، فتكرر النداء، قلت مهونة على نفسي: لعله شخص يعرفني لا داع للقلق .

صرخت في جوف المنارة قائلة: من هناك؟ هل من أحد هنا؟

فلم يجب أحد، عاودت الصراخ مرة أخرى: إن كنت عالقاً أخبرني سأستدعي المساعدة .

فلم يجب .



المناصرة

الآن أدرك تماماً أن الصمت مخيف بقدر الفوضى على الأقل، ويبدو أنني قد حسدت نفسي، فقد ارتفعت صرخة ارتجت على إثرها جدران المنارة، ولن أبالغ لو قلت أنني شعرت الأرض من أسفل قدمي تنتفض، كانت هذه الصرخة بمثابة محركي لأندفع هاربة من المكان، ألثت وألثت للوراء لماما، أنفاسي تتصاعد، صدري يعلوا ويهبط، وسرعتي في أقصى حد ممكن، لكن النظرات للخلف إن كثرت ستزيد من احتمالية التعثر، وهذا ما حدث، تعثرت بالفعل، وهويت أرضاً فاقدة للوعي .

صوتٌ ما ينادي .

من صاحبه ؟

يبدو ما لؤفا هذه المرة لكي لست أدري من تحديداً، كل الصور يعلوها الضباب، كلي متعب، وجفناي متقلان .

الخدر يقبض على أطرافي وبالكاد أستطيع أن أستنشق الهواء، شيئاً فشيئاً بدأت تنحسر الضبابية العارمة، إنها مروة، هي بعينها . . . صديقتي التي تشاطرنا الأفراح والأتراح، وتعاهدنا على الصحبة على السند وقت كل نكبة، أقسمنا أننا لبعضنا عزوة، وأنا سنجابه الأيام معاً، لربما لا تكفي قوة إحدانا أو لربما كلتانا



المناصرة

مجتمعتين، لكننا نفضل لو سقطت إحدانا أن تهوي برفقتها الأخرى، تشد أزرها، وترفع معنوياتها، فننهض
معا من بعد الارتطام أو فلنمت معا .

مرورة: هل أنت بخير؟

كثانة: أين أنا؟

مرورة: على الشاطئ، ما بالك فقدت الوعي، هل حدث لك شيء معين؟ هل أنت بخير؟

نهضت محاولة تذكر ما حدث، وسرعان ما تدافعت صور الذكريات الراكدة التي أثارها الأمواج، قلت: كان

... هناك منارة

مرورة: لم أسمعك ماذا تقولين؟

كثانة بحماس: منارة ألا تعرفين أن هنا منارة؟

مرورة بضحكة: يبدو أنك كنت تحلمين، لا منارة هنا ولا سفن حتى، هل نسيتَ إن هذا الجانب من البحر

هو بعيد جدا عن تواجد الأسواق التجارية لذلك لا منارة هنا، فمن يهتم بالوصول لمكان منقطع!؟



المناصرة

كثانة: لست أدري، لكن بدى كل شيء حقيقة لا شك فيها، أشعر كما لو أن رأسي سينفجر، هل لنا أن نعود للمنزل؟

اسندتني على كتفها وبدأت أقص عليها ما حدث لي بتفاصيله المملة حتى وصلنا للمنزل أخيرا .
ارتيمت على الفراش ولأول مرة منذ فترة طويلة أكون ممتنة لتواجده، وكم تحيط بنا من نعم لا ندرکها إلا عندما نخر على جباهنا فنصبح من بعد ذلك نادمين!

كنت قد طلبت من مروة أن تسأل عن إمكانية وجود منارة هنا، لم تكذب قط، هي تصدق تماما ما مررت به إن كنت قلته، حتى عندما بدى ما قلت ضربا من الجنون .

بعد أن تدافعت كل هذه الأفكار لعقلي مرة واحدة طغى النوم بسلطانه فاتشطني مني ونمت . . .
رأيت ذات المنارة في الحلم وهناك طفل صغير يقف أعلاها، يرمق بجرا دمويا بنظرة فارغة من كل شيء
و بمقلتين متحجرتين، حتى التفت إلي فجأة فجزعت ونهضت متعرقّة، صدري يعلوا ويهبط، وقلبي يرقص بعنفوان .

هناك منارة تستد عيني الذهاب إليها، هناك منارة مخيفة تحدث فيها أحداث سيئة وعليّ أن أذهب .



نهضت مغادرة غرفتي فرأيت مروة تجلس على كرسي مطل للبحر تتطلق لبصرها العنان، بدى لي أنها شاردة الذهن تماما، اندفعت نحوها وصرخت عندما اقتربت ممازحة إياها، فغضبت عندما استعدتها من شرودها بهذه الطريقة لتقول إلي:

تعالى هناك أمر هام عليك معرفته

جلست بتركيز وقلت: ماذا هناك؟

تابعت: سألت الكثير من الناس عن أقرب منارة من هنا وأخبرني الجميع بأنها في محافظة مجاورة وأنها بعيدة جدا عن هنا، وبعد تكرار الاسئلة أخبرتني سيدة ما أن هناك امرأة عجوز قد جئت في يوم ما وبدأت تهذي بوجود منارة مرعبة هنا، لم يصدقها أحد وظل طيفها يطلبها حتى بدت للناظرين امرأة مجنونة.

قلت: هل علمت أين تقطن؟

مروة: نعم، أسنذهب إليها؟

قلت وأنا أنهض: بالطبع هيا . . . إلى تلك السيدة.



تبع...



الجزء الثالث

عبروز المناصرة

